

## أضاعت الطريق

لمياء الجيلي أبو بكر \*

تضيء الذاكرة وتعي الكلمات. تحتبس في قوالب الزمن المعبأ برهبة اليقين والرجاء والأمل. تحزن وترتجف الحروف وترتعد، مثلما تمتلئ مآقيها يقظة ورهق. واضحة المعالم.

نستمد من قوتها وصلابتها بعضاً من الصبر يعيننا في مواصلة طريق اختارته طوعاً واختياراً، محبةً ورجاءً وأمل. لم يكن الطريق سهلاً سلساً، ولم تكن المرائي والمعابر سالكة واضحة المعالم. كسرت حاجز الصمت. اقتحمت بشجاعة وحضور قوى ومصادم ساحات النضال والدفاع عن حقوق الإنسان، فاخترقت اهتماماتها حاجز الزمان والمكان، فناصرت عالمية قضايا النساء. فتحضرني كلماتها "حقوق النساء جزء من حقوق الإنسان... معاناة النساء تتشابه وتتلاقى في كل العالم... منهاج عمل بكين واحد من الآليات التي يجب أن يتحول التزام الدول بها لواقع حتى تنعم النساء بحقوقهن... النساء السجينات عرضة للانتهاكات الفظيعة... سيداو وضعت حلول لمعاناة النساء في كل العالم...". كلماتها، أحاديثها همومها، لم تكن تتفصل عن قضاياها. حديثها الذي ينبع من داخلها من ذاتها يضيء. حديثها النابع من القلب والعقل يستقر في الوجدان، ينير الدرب ويضيء ذاكرة الأيام.

### التقينا

على الرغم من قصر الفترة التي تزامنا فيها بمركز الخرطوم لحقوق الإنسان وتنمية البيئة، إلا أنها تظل من الفترات الثرة في حياتنا، بها الكثير من التجارب التي تستحق أن تدوّن. فهذه الفترة لم تكن طويلة بعمر الزمان الفلكي.

كانت منسقة برنامج المرأة والطفل والسجون، وكنت حينها متدربة ببرنامج المعلومات الإعلام وحرية التعبير. اهتمامي حينها بقضايا وحقوق المرأة، كان جزءاً من اهتمامات بقضايا كثيرة مختلفة ومتعددة تتقاطع وتتلاقى من حين لآخر، فكان لنازك المحجوب في الارتقاء باهتماماتي إلى مدارج الحقوق الإنسانية للنساء. نقاشات، حوارات، قراءات دارت بيننا حول كثير من تفاصيل: العنف

ضد النساء، القوانين التي تضيف تمييزاً وعبئاً وإجحافاً لحقوق المرأة، المطلقات، طالبات النفقة، الهرولة والمجيء، رحلة العذاب في دروب المحاكم... رشحتني نازك لحضور دورة تدريبية نظمها المعهد العربي لحقوق الإنسان بتونس حول المشاركة السياسية للنساء قالت لي "ستشاركين معي في حملة سيداو التي يعد لها برنامج المرأة".

## أناقة وصدق

كانت نازك أنيقة في كلماتها وعباراتها وملبسها. مكتبها المرتب والمنسق كان يتوسط الطريق الى مكتب الإعلام وحرية التعبير، فكانت تحيتها والحديث معها بداية يوم العمل. نتبادل الحديث عن هموم النساء. كانت شعلة من النشاط والحيوية. تضى على المكان بهجة وحبوراً. مرتبة منظمة نجحت فيما لم تستطعه مثيلاتها. عبارة طالما رددتها زميلاتها الناشطات في مجال المرأة والعمل العام "نازك لم ينسها كفاحها ونضالها دورها الأسرى فكانت أمّاً مثالية حنونة وكانت زوجة ناجحة. كانت تجامل، تهنيء، وتعزي وتواسى. سباقة للمهام الاجتماعية والأسرية. حرصها على المشاركة فى كل جوانب الحياة لم ينسها اهتمامها بأناقته وجمالها.

## الصمود

تجربتها ومعاناتها وصبرها على الألم اللعين، كانت لمن حولها مدرسة أخرى تعلمنا منها الكثير. فى مارس 2006، لدى افتتاح حملة سيداو بالمركز، والتي كانت جزءاً من خطة عملها لذاك العام، سألتها عن تفاصيل النشاط، فاجأتني بأنها ستسافر وقد لا تحضر بعض الأنشطة. سألتها باندهاش "هل ستسافرين والحملة فى بدايتها وهناك الكثير من الأنشطة تحتاجك؟" قالت لي بثبات وقوة "أنا مسافرة لندن للعلاج يا لمياء، عرفت من الدكتور إنى مريضة بالسرطان وحا أعمل عملية جراحية". قالتها بهدوئها المعتاد. لم أستطع أن أوصل وتواريت فى أقرب مكتب أقاوم دموعي وقلبي المنكسر.

عادت بعد أشهر من إجراء العملية الجراحية الأولى وهى أكثر تألقاً وبهاءً وصبراً وتشبثاً ورغبةً فى الحياة والعطاء. فرحنا بعودتها سالمة إلى مكتبها الأنيق المرتب ولم نكن ندر أنه لم يتبق من العمر الكثير.

عاودتها آلامها مرة أخرى، سافرت ويقينها بالحياة والعافية لا يحده حدود. واختلفت عودتها الثانية ورجوعها لربوع الوطن. قابلتنا بفرحها وبشاشتها المعتادة. لم تبق من ملامحها سوى ابتسامتها الجميلة الرائعة، فنحل جسدها وأنهكه المرض. لم تعر ذلك اهتماماً. سخرت من المرض وواصلت حياتها ونضالاتها، فلا زالت تمتلئ الروح بالأمل والقوة والإصرار. فواصلت العمل. تحضر إلى المركز باكراً، تغلب في أوراقها، تضع خطط برامجها وتكتب تقاريرها كأن شيئاً لم يكن.

أبريل 2007، وفي قمة ألمها ومعاناتها، شاركت معنا في نشاط بالقاهرة. تحمل دواءها وزادها الخاص بحالتها مع أوراقها وكتاباتنا. كنا نحسها تتألم وتئن طوال الليل وتتنصر على الألم صباحاً وتتهض باكراً تتحدث عن قضايا وهموم بصوت أصابه شيء من رهق وتعب.

مارس 2008

\* لمياء الجيلي أبو بكر، ناشطة حقوقية. تعمل بمركز الخرطوم لحقوق الإنسان وتنمية البيئة.